والثاني كيف تجعلون له ما تكرهون
من تختيرون له خيار الأشياء وأنفسها لأنفسكم وهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا ثم ختم الآية بصفتين يقتضيهما
سياقها فقال واعلموا أن الله غني حميد فغناه وحمده يأبى قبوله الرديء
فإن قابل الرديء الخبيث إما أن يقبله لحاجته إليه وإما أن نفسه لا تأباه لعدم
كمالها وشرفها وأما الغني عنه الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه
لا يقبله ثم قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة قال تعالى
منه وفضلا والله واسع عليم هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث
عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني فإنها اشتملت على بيان الداعي
إلى البخل والداعي إلى البذل والإنفاق وبيان ما يدعو إليه داعي الأمرين
فأخبر تعالى أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان وأخبر أن
دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم وهذا
هو الداعي الغالب على الخلق فإنه يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه
داعيا يقول له متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه وافتقرت إليه بعد
إخراجه فإمساكه خير لك حتى لا تبقى مثل الفقير فغناك خير لك من غناه
فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهي البخل الذي هو من أقبح
الفواحش وهذا إجماع من المفسرين أن الفحشاء هنا هي البخل فهذا وعده
وهذا أمره وهو الكاذب في وعده الغار الفاجر في أمره فالمستجيب لدعوته
مغرور مخدوع مغبون فإنه يدلي من يدعوه بغروره ثم يورده
شر الموارد كما قال ٥ دلاهم بغرور ثم برئ منهم أورد هم ٥ إن الخبيث لمن والاه غرار ٥
هذا وإن وعده له بالفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له كما ينصح الرجل
أخاه ولا محبة في بقائه غنيا بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته وإنما

وعده

وعده له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ويترك ما يحبه ربه من
الإنفاق لوجهه فيستوجب منه الحرمان وأما الله سبحانه فإنه يعد
عبده على إنفاقه مغفرة منه لذنوبه وفضلا بأن يخلف عليه أكثر مما
أنفق وأضعافه إما في الآخرة أو في الدنيا والآخرة فهذا وعد
الله وذاك وعد الشيطان فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو
أوثق وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه والله يوفق من يشاء ويخذل
من يشاء وهو الواسع العليم وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين
فإنه واسع الفضل واسع العطاء عليم بمن يستحق فضله ومن يستحق عدله
فيعطي هذا بفضله ويمنع هذا بعدله وهو بكل شيء عليم فتأمل
هذا الكلام ولا تستطل بسط الكلام فيها فإن لها شأنا لا يعقله إلا من
عقل عن الله وخطابه وفهم مراده وتلك الأمثال نضربها للناس
وما يعقلها إلا العالمون وتأمل كيف ختم هذه السورة التي هي سنام القرآن
بأحكام الأموال وأقسام الأغنياء وأحوالهم وكيف قسمهم إلى ثلاثة أقسام
محسن وهم المتصدقون فذكر جزاءهم وذكر مضاعفته وما لهم في قرض
أموالهم للملي الوفي ثم حذرهم مما يبطل ثواب صدقاتهم ويحرقها بعد
استوائها وكمالها من المن والأذى وحذرهم مما ترتب آثارها عليها
ابتداء من الرياء ثم أمرهم بأن يتقربوا إليه بأطيبها ولا يتيمموا رديها
وخبيثها ثم حذرهم من الاستجابة لداعي البخل والفحش وأخبر أن استجابتهم
لدعوته وثقتهم بوعده أولى بهم ثم أخبر أن حكمته التي يؤتيها
من يشاء من عباده وأن من أوتيها فقد أوتي ما هو خير
منه وأفضل من الدنيا كلها لأنه سبحانه وصف الدنيا بالقلة فقال